

روح المعاني

جملة مبتدأة واقعة في مقابلة قوله تعالى والذين تدعون من دونه ما يملكون من قطمير 31 ويكون ذلك مقررا لما قبله من التفرد بالألوية والربوبية وإستدلالا عليه إذ حاصله جميع الملك والتصرف في المبدأ والمنتهي له تعالى وليس لغيره سبحانه منه شيء ولذا قيل إن فيه قياسا منطقيا مطويا وجوز أن يكون مقررا لقوله تعالى : وإِخْ خَلَقَكُمْ إِخْ وَقَوْلُهُ تَعَالَى : يُولِجُ إِخْ فِجْمَلَةِ الَّذِينَ تَدْعُونَ إِخْ عَلَيْهِ إِذَا إِسْتِنَافِيَةٌ أَيْضًا وَهِيَ مَعْطُوفَةٌ عَلَى جَمَلَةٍ لَهُ الْمَلِكُ وَإِذَا هَالِ مِنَ الضَّمِيرِ الْمُسْتَقَرِّ فِي الظَّرْفِ أَعْنِي لَهُ وَعَلَى الْوَجْهِ الْأَوَّلِ هِيَ مَعْطُوفَةٌ عَلَى جَمَلَةٍ ذَلِكُمْ إِخْ أَوْ هَالِ أَيْضًا وَالْقَطْمِيرُ عَلَى مَا أَخْرَجَ ابْنُ جَرِيرٍ وَغَيْرُهُ عَنْ مُجَاهِدٍ لِفَافَةِ النَّوَاةِ وَهِيَ الْقَشْرُ الْأَبْيَضُ الرَّقِيقُ الَّذِي يَكُونُ بَيْنَ التَّمْرِ وَالنَّوَاةِ وَهُوَ الْمَعْنَى الْمَشْهُورُ . وَأَخْرَجَ ابْنُ جَرِيرٍ وَابْنُ الْمُنْذِرِ أَنَّهُ الْقَمْعُ الَّذِي هُوَ عَلَى رَأْسِ التَّمْرَةِ وَأَخْرَجَ عَبْدُ بْنُ حَمِيدٍ عَنْ قَتَادَةَ أَنَّهُ الْقَشْرَةُ عَلَى رَأْسِ النَّوَاةِ وَهُوَ مَا بَيْنَ الْقَمْعِ وَالنَّوَاةِ وَقَالَ الرَّاعِبُ إِنَّهُ الْأَثْرُ عَلَى طَهْرِ النَّوَاةِ وَقِيلَ هُوَ قَشْرُ الثُّومِ وَأَيَّامًا كَانَ فَهُوَ مِثْلُ لِلشَّيْءِ الدَّنِيءِ الطَّفِيفِ قَالَ الشَّاعِرُ : وَأَبُوكَ يَخْصِفُ نَعْلَهُ مَتُورَكَ مَا يَمْلِكُ الْمَسْكِينُ مِنْ قَطْمِيرٍ وَقَرَأَ عَيْسَى وَسَلَامٌ وَيَعْقُوبٌ يَدْعُونَ بِالْيَاءِ التَّحْتَانِيَّةِ إِنْ تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دَعَاءَكُمْ إِسْتِنَافٍ مُقَرَّرٍ لِمَا قَبْلَهُ كَاشِفٍ عَنْ جَلِيَّةِ هَالِ مَا يَدْعُونَهُ بِأَنَّهُ جَمَادٌ لَيْسَ مِنْ شَأْنِهِ السَّمَاعُ هَذَا إِذَا كَانَ الْكَلَامُ مَعَ عَبْدَةِ الْأَصْنَامِ وَيَحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ مَعَ عَبْدَتِهَا وَعَبْدَةُ الْمَلَائِكَةِ وَعَيْسَى وَغَيْرُهُمْ مِنَ الْمُقْرَبِينَ وَعَدَمُ السَّمَاعِ حِينَئِذٍ إِذَا لَأَنَّ الْمَعْبُودَ لَيْسَ مِنْ شَأْنِهِ ذَلِكَ كَالْأَصْنَامِ وَإِذَا لَأَنَّ فِي شُغْلٍ شَاغِلٍ وَبَعْدَ بَعِيدٍ عَنْ عَابِدِهِ كَعَيْسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ وَرَوَى هَذَا عَنِ الْبَلْخِيِّ أَوْ لَأَنَّ إِخْ عَزُوجِلَ حَفْظَ سَمْعِهِ مِنْ أَنْ يَصِلَ إِلَيْهِ مِثْلُ هَذَا الدَّعَاءِ لِغَايَةِ قَبْحِهِ وَثَقَلِهِ عَلَى سَمْعٍ مِنْ هُوَ فِي غَايَةِ الْعِبُودِيَّةِ إِخْ سَبْحَانَهُ فَلَا يَرُدُّ أَنَّ الْمَلَائِكَةَ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ يَسْمَعُونَ وَهُمْ فِي السَّمَاءِ كَمَا وَرَدَ فِي بَعْضِ الْآثَارِ دَعَاءُ الْمُؤْمِنِينَ رَبَّهُمْ سَبْحَانَهُ وَفِي نَظْمِ ذِي النُّفُوسِ الْقُدْسِيَّةِ فِي سَلْكِ الْمَلَائِكَةِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ مِنْ حَيْثِيَّةِ السَّمَاعِ وَهُمْ فِي مَقَارِ نَعِيمِهِمْ تَوَقَّفَ عِنْدِي بَلْ فِي سَمَاعِ كُلِّ مِنَ الْمَلَائِكَةِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ وَهُمْ فِي السَّمَاءِ وَذَوِي النُّفُوسِ الْقُدْسِيَّةِ وَهُمْ فِي مَقَارِ نَعِيمِهِمْ نَدَاءٌ مِنْ نَادَاهُمْ غَيْرَ مَعْتَقَدٍ فِيهِمُ الْإِلَهِيَّةُ تَوَقَّفَ عِنْدِي أَيْضًا إِذْ لَمْ أَظْفِرْ بِدَلِيلٍ سَمْعِي عَلَى ذَلِكَ وَالْعَقْلُ يَجُوزُهُ لَكِنْ لَا يَكْتَفِي بِمَجْرَدِ تَجْوِيزِهِ فِي الْقَوْلِ بِهِ . وَلَوْ سَمِعُوا عَلَى سَبِيلِ الْفَرَضِ وَالتَّقْدِيرِ مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ لِأَنَّهُمْ لَمْ يَرِزُقُوا قُوَّةَ التَّكَلُّمِ وَالسَّمَاعِ لَا يَسْتَلْزِمُ ذَلِكَ فَالْمُرَادُ بِالِاسْتِجَابَةِ الْإِسْتِجَابَةُ بِالْقَوْلِ وَيَجُوزُ أَنْ يَرَادَ بِهَا الْإِسْتِجَابَةُ بِالْفِعْلِ أَيْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا نَفَعُوكُمْ لِعَجْزِهِمْ عَنِ الْأَفْعَالِ بِالْمَرَّةِ هَذَا إِذَا كَانَ الْمَدْعُونَ الْأَصْنَامَ وَأَمَّا إِذَا كَانُوا الْمَلَائِكَةَ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ أَوْ نَحْوَهُمْ مِنَ الْمُقْرَبِينَ فَعَدَمُ الْإِسْتِجَابَةِ الْقَوْلِيَّةِ لِأَنَّ

دعاءهم من حيث زعم أنهم آلهة وهم بمعزل عن الآلهة فكيف يجيبون زاعم ذلك فيهم وفيه من التهمة ما فيه وعدم الإستجابة الفعلية يحتمل أن يكون لهذا أيضا ويحتمل أن يكون لأن نفع من دعاهم ليس من وظائفهم وقيل لأنهم يرون ذلك نقصا في العبودية والخضوع □ عزوجل . ويجوز أن يكون هذا تعليلا للأول أيضا فتأمل ويوم القيامة يكفرون بشرككم فضلا عن أن يستجيبوا لكم إذا دعوتموهم وشرك مصدر مضاف إلى الفاعل أي ويوم القيامة يجحدون إشراككم إياهم